أثر الشعر المشرقي في شعر ابن بقي الأندلسي (463هـ/540هـ)

Oriental influace in the poetry of Ibn Baqi al-Andalus (463 Hijry / 540 Hijry)

شارف عامر

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، Ameurcharef7@gmail.com

المشرف: الدكتور عبد القادر رحيم-جامعة بسكرة

تاريخ الاستلام: 2020/10/22 تاريخ القبول: 2021/02/16 تاريخ النشر: 2021/06/08

الملخص:

يحاول البحث أن يتطرّق إلى تلك الملامح المشرقية التي نلحظها في الشعر الأندلسي، ويسعى إلى الكشف عن تلك البصمات التي ما استطاع الشاعر الأندلسي التملص منها،لأنها تسكن في لاشعوره، وفي شعوره أحيانا قليلة، وذلك حين يريد التقليد أو المعارضة، ومن هذا المنطلق قد حاولت أن أتناول ملامح تأثر الشاعر ابن بقي الأندلسي بالشعر المشرقي من جميع المستويات: الأساليب، المفردات، المعاني، والأغراض.

الكلمات المفتاحيّة: الشعر الأندلسي، الإبداع والتقليد، الشعر المشرقي،ابن بقي.

Abstract:

The présent research attempts to deal with those oriental features that we notice in Andalusian poeretry, It seeks to explore those aspects that the Audalusian poet could not escape from as they. unintentionally emerge from him because they reside in his unconscious most of the time when trying imitation or even opposition, from this point of view , we have tried to tackle the features of Eastern poetry. that in fluence the poet ibn baqi Al-Andalusi from all levels including styles, vocabulary, meanings and purposes .

Keywords: Audalusian poetry , imitation creation , oriental poetry, ibn baqi..

المؤلف المرسل: شارف عامر، **الإيميل:** Ameurcharef7@gmail.com

مقدمة:

من الطبيعي جدًّا (أنّ جمال الأندلس بجبالها الخضر وسهولها اليانعة، وجداولها المترقرقة، ورياضها المخضلة، وترفها الناعم المريح كلّ ذلك قد ألهم الشعراء) (البيومي، 1980، صفحة 56)، فالطبيعة الأندلسية الرائعة بحمالها المميز، وبهوائها الصافي، وبحدائقها الفاتنة المترامية الأطراف، وبمياهها المنسابة أدّت دورًا هامًّا في إلهام الشعراء الأندلسيين، وبعثت فيهم أسرار الإبداع، وجعلتهم ينظمون شعرًا له مميزاته الخاصة من حيث الرؤية والرؤيا، ليحقّق الشاعر الأندلسي لنفسه مكانة بين شعراء عصره في الأندلس وبين الشعراء المشارقة، فهل هناك ما يمنع أن يتأثّر شاعر بآخر عندما يطّلع على فنيات لم يدركها ولم تخطر بباله من قبل، فالتّأثّر هو إعادة صورة فنّيّة بلاغية افتتن بها الشاعر، حيث (إن كلّ نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء) (الزعبي، 2000، صفحة 12)، تحت عملية تأثير في ذاكرة الشاعر، فعلى الشاعر المُتأثِّر أن يستبدل البحر والألفاظ، ويضيف على الأقل، ولا عتاب إن غيّر إيقاع القصيدة لكي يبتعد قليلا عن أجواء المعنى السابق، أما من ناحية الأساليب فيتمثل في اختيار المفردات، وتأليف العبارات، فهو يبدو بكل سهولة للدارس في تحديد المفردة واستعمالها في الجملة، في التقديم والتأخير والتطويل والتقصير، حتّى لا تبدو عملية التّأثّر بشكل واضح، وهذا ما يجعل الشاعر متهَمًا بالسرقة، ومن الطبيعي تأثّر الأندلسيين بالمشارقة حيث (كان الشرق أستاذ الأندلس، تتطّلع إليه في إخلاص ورغبة، ولا تحاول قبل عصر الناصر أن تقيس نفسها به، بل كبرى مناها أن تحرز نفائس مؤلَّفاته وروائع آثاره، وأن يعدّ أبناؤُها الرحيل إلى الارتشاف من حياضه والرّيّ من موارده، فإذا وفد عليهم وافد من أعلام الشّرق تطلّعت إليه العيون في إكبار، واقتعد مقعد الأستاذ عن فخر واعتداد) (البيومي، 1980، صفحة 28)، ومن الطبيعي أن يكون المشرق أستاذًا للأندلس لتقدّمه في كل مجالات الفنون، وذلك (لأن عمر الأندلس الأدبي أقلّ بكثير من عمر المشرقي، فالأدب الجاهلي مثلا أدب مشرقي، وأدب صدر الإسلام وعصر بني أُميّة مشرقي، وأدب السنين الأولى لعهد بني العباس أدب مشرقي) (البيومي، 1980، صفحة 60)، فالموازنة حقيقة قد لا تكون عادلة، ولن تكون منطقية، لأنها برزت مرحلة اخرى (انتقل الأدب الأندلسي في عهد

الحكم من الاعتراف بالتلمذة إلى المنافسة الحقيقية لأستاذه المشرقي) (البيومي، 1980، صفحة 32)، وهكذا تميّز الأدب الأندلسي عن المشرقي بعد حين محقّقًا لذاته مواصفات منبثقة من بيئته.

في الديوان الذي بين يديَّ لم يذكر الشاعر ابن بقي الأندلسي الشعراء الذين تأثر بهم ذكرًا مباشرًا صريحًا، ولم يهمس، ولم يُوحِ، وإنّما نلمحه من خلال تلك التناصات المتعدِّدة المتتالية من حين لآخر مع هذا الشاعر أو ذاك، فتبدو مثل الومضات الموحية من بعيد، أو تجيء بارزة في لفظة أو في شطر، أو في بيت، ومنها نستدلُّ بأن الشاعر ابن بقي الأندلسي قد تأثّر بغيره من الشعراء المشارقة، وهذا التأثّر لامس الأغراض الشعرية كالوصف، والفخر، والهجاء، وغيرها، لكن ليس مجبرًا أن يأخذ الشاعر وينسج على منوال المتأثّر به؛ لأن التّأثّر له أبعاد نفسية، وليس مجبَرًا أن يسرق، ولكن (من الواضح أنّ شعراء الجيل الطالع يفيدون كثيرًا من تجارب الرواد ويستغلون ثمار مغامراتهم وكشوفهم في عالم الشعر) (إسماعيل، 1981، صفحة 242)، لقد تأثر الشاعر ابن بقي الأندلسي بشعراء العصر الجاهلي مثل عنترة بن شداد بخاصة بمعلقته،(وتأثر بشعراء العصر الأُموي، وبشعراء العصر العباسي) (إسماعيل، 1981، صفحة 242)، لكن على الشاعر أن يختلف في النسج والتركيب (ما دام الشاعر يستطيع أن يحلّق فيه كيف يشاء، ما دام له نصيب من كفاءة على تحسين المعنى أو ابتكار أو توليد في أثواب جديدة من الصياغة) (عليان, عبد الرحيم، 1984، صفحة 429)، ونؤكّد ما على الشاعر إلا أن يتميّز من بين أقرانه ببراعته وإبداعاته وبفنيّاته التي تجعله في مصاف القامات الشعرية الشامخة في عالم الشعر.

ممّا لا شكّ فيه أن الشاعر ابن بقي الأندلسي قد اطّلع على الشعر الجاهلي والأموي والعباسي كما اطّلع عليه شعرا ءُ من قبل، فجاء شعره نظير هذا الاطّلاع متشرّبا بأحسن أشعار المشارقة الكبار المشهورين المعروفين، وتشبّعت أنفاسه الشعرية بتلك الإبداعات المؤسّسة للشعر العربي، لم يستطع ابن بقي الأندلسي التجرّد من تجارب المشارقة، إذ سكنت ذاكرته، وتغلغلت في وجدانه، وفي أنفاسه، وفي لاشعوره، حتّى برزت في ديوانه تناصّات كثيرة تدلّ على تفاعله البيّن مع الشعر المشرقي في المفردات، والمعاني، وفي الأغراض، والأساليب .

ومن خلال ديوانه المحقّق نلحظ تأثر الشاعر بمجموعة من شعراء العصر الجاهلي كامرئ القيس، وعنترة، وطَرَفَة بن العبد، وذلك باستعماله ألفاظًا جاهلية مقتبسة من أشعارهم، وإن

كان (أول ما يتبادر إلى ذهن قارئ الشعر الجاهلي صعوبة ألفاظه، والحقيقة أنّ هذه الصعوبة التي تبدو لنا اليوم ليست طبيعية في هذا الشعر العريق، وهذه الغرابة التي تصادفنا عندما نحاول فهم ألفاظه وأساليبه منشؤها البعد الزماني والمكاني والاجتماعي والثقافي بيننا وبين الجاهليين) (بوفلاقة سعد، 2006، صفحة 141)، وهذه بعض الأمثلة التي نستدل بها على استخدام المفردات، قال الشاعر ابن بقي الأندلسي على البحر البسيط :

ـ تِلْكَ الظِّبَاءُ عِرَابُ الخَيْلِ دُونَكُمُ نَـهْدٌ وَوَرْدٌ وَذُبَّالٌ ومُنْجَرِدُ(ابن بقي، 2012، صفحة 82)

يبدو الشاعر في بيته هذا متأثرا بقول امرئ القيس (501م/540م) عندما خرج صباحا للصيد، يستطلع أماكن الظباء، يصف فرسه السريع القوي، 'منجرد ' قائلا على البحر الطويل :

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيرُ فِي وُكِنَاتها بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيكَلِ) (الزوزني، 1983، صفحة 63)

ويقول ابن بقي في بيت آخر، على البحر الطويل،يصف فيه مغامرة دخوله خيمة حبيبته، وكأنه يعود بالقارئ إلى عصر الجاهلية الأولى:

دَخَلْتُ عَلَيْهَا خَيْمَةً شُرُفَاتُهَا وأَعْمُدُهَا بِيضٌ رُقَاقٌ وخُرصَانُ (ابن بقي، 2012، صفحة 123)

وهنا يتجلّى تأثّره أيضا ببيت للشاعر امرئ القيس،على البحر الطويل، وهو يصف مغامرة دخوله خدر عنيزة :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْر عُنَيزةٍ فَقَالتْ لَكَ الوَيْلاتُ إنّكَ مُرْجِلِي_(الزوزني، 1983، صفحة 26)

وفي أبيات أخرى نلحظ مجاراته لفارس بني عبس شاعر الحب، عنترة بن شداد، حيث قال ابن بقي في قصيدة نونية على البحر البسيط يصف الذي شبّهه بفرس عنترة :

لَكنْ عَلَى سَابحٍ نَـهْدٍ مَراكِلُهُ مُؤَلَّلِ الجِيدِ والأرْساغِ والأُذُنِ (ابن بقي، 2012، صفحة 113)

كما جاء بيت عنترة بن شدّاد (ت 600م)، على البحر الكامل؛ الذي يصف فيه فرسه أثناء الدخول إلى المعركة إذ يتقدّم بارزًا بضخامة قامته، وقوّة هجومه، وتسامي إقدامه :

وَحْشِيَّتِي سَرْجٌ عَلَى عبلِ الشَّوَى نهْدٌ مَراكِلُهُ نَبِيلُ المَحْزَمِ (الشنقيطي أحمد، 2002، صفحة 159)

وفي نصّ آخر على البحر الطويل، يتحاور فيه مع حبيبته ليلا ، يقول ابن بقي :

فَقَالَتْ: "أَلِصٌّ" قُلتُ: "بلْ ذُو صرَامَةٍ تُشَبُّ عَلَى أَحْشَائِهِ نيرانُ (ابن بقي، 2012، صفحة 122)

ولا شك أن الجملة الرئيسة في هذا البيت " علَى أحشائه نيران "مستوحاة من قول الشاعرة

الجاهلية أسماء بنت ربيعة التغلبية، على بحر الرمل :

أَسْعِدُونِي لا تَلُومُوا فِي البُكَا إنَّ في الأحْشَاءِ نَارًا تَصْطَلِي (حمزة محمد فوزي، 2007، صفحة 8)

وقد استعارها هنا ليعبر بها عن إحساسه، ومحنته، ويصوّر شقاءه وتعاسته، وما تفعله نار الحبّ في أحشائه، وأمَّا قوله على البحر الطويل :

إذَا مَا غُرَابُ اللَّيلِ مَدَّ جَنَاحَه عَلَيَّ وَغَطَّانِي بِرِيشِ قَوَادِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 114)

فنلحظه متأثّرا فيه ببيت الشاعر النابغة الذبياني (535 م/604م)، على البحر الكامل، حيث يتطير من الغراب وهي من عادات العرب :

زَعَمَ البوَارِحُ أنَّ رِحلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُرَابُ الأسْوَدُ) (النابغة الذبياني، 1996، صفحة 105)

كان بعض الجاهلية إذا خرج صباحًا إلى السفر، وصادفه غراب ينعق، أو رأى حمارًا مقطوع الذنَب تشاءم، وقال: هذا السفر لا يصلح، أو ما أشبه ذلك، وعاد إلى بيته، هذا شيء من عادات وطقوس الجاهلية، يبدو تأثرُ ابن بقي في قوله :

إذا مَا غُرَابُ اللَّيلِ مَدَّ جَنَاحَهُ عليَّ وغَطَّانِي بِرِيشِ قَوَادِمِ

تَقَلَّبْتُ فِي طَيِّ الجَناحِ لَعَلَّنِي أَرَى الصّبْحَ يَبْدُو مِنْ خلالِ القَوادِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 122)

كما تأثّر ابن بقي بالشاعر الفتى طَرَفَة بن العبد(543م/569م)، حيث يقول في لاميته، على البحر البسيط :

كالوَشْمِ في أذرُعٍ كَالوَحْيِ فِي صُحُفِ كالحَبْلِ فِي حُلَلٍ أَفْضَتْ لِإجْلَال (ابن بقي، 2012، صفحة 103)

وبيت طرفة المقصود، على البحر الطويل هو :

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ (الزوزني، 1983، صفحة 91)

يتبيّن لنا من خلال هذه الأمثلة تفاعل الشاعر ابن بقي الأندلسي مع نصوص بعض الشعراء الجاهليين، إضافة إلى اطّلاعه على شعر الشعراء الأمويين، واقتباسه من نصوصهم، وهذا أمر نوضّحه فيما بعد، كما نجد شارات تدلنا على تأثر ابن بقي بشعراء العصر الأُموي مثل قيس بن ذريح، وجميل بثينة، يقول ابن بقي في ميميته على البحر الطويل :

إذا مَا غُرَابُ اللَّيلِ مَدَّ جَنَاحَهُ عليَّ وغَطَّانِي بِرِيشِ قَوَادِمِ

تَقَلَّبْتُ فِي طَيِّ الجَناحِ لَعَلَّنِي أَرَى الصّبْحَ يَبْدُو مِنْ خلالِ القَوادِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 122)

وهذان البيتان مأخوذان من قول قيس بن ذريح(625م ـ680م)، على البحر الطويل :

أَلَا يَا غرَابِ البَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبُ وَأَنْتَ بِلَوْعَاتِ الفِرَاقِ جَدِيرُ (ابن ذريح، 2004، صفحة 81)

أَلَا يَــا غُرابِ البَـيْنِ وَيْـحَـكَ نَبِّنِي بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ (ابن ذريح، 2004، صفحة 77)

وفي قوله على البحر الطويل :

أَلَا يا غُرابِ البَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي بِخُبْرٍ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ والشَّرِّ (ابن ذريح، 2004، صفحة 78)

كما نلاحظ في أبيات أخرى أن ابن بقي متأثر بقول جميل بثينة حين خاطب غراب البين والفراق، على البحر الطويل:

ألا يَا غُرابُ البَيْنِ، فِيمَ تَصِيحُ فَصَوْتُكَ مَشْـنِيٌّ إِلَيَّ قَبِيـحُ

وكـلُّ غَـدَاةٍ لا أبـالـكَ ينـتَهِي إِلَيَّ، فَتَلْقَانِي وأَنْتَ مُـشِيحُ (بثينة، 1982، صفحة 94)

حيث استخدم ابن بقي " إذا مَا غُرَابُ اللَّيلِ مَدَّ جَنَاحَهُ " متأثرًا بقول جميل بثينة " ألا يَا غُرابُ البَيْنِ، فِيمَ تَصِيحُ " في نصّه الجملة التي يخاطب فيها الغراب هذا الطائر الذي تشاءمتْ منه العرب في الجاهلية .

أما في العصر العباسي العصر المتفتّح الذي برزت فيه حرية الإبداع، وعلا فيه شأن الشعراء، من أمثال المتنبّي، وابن الرومي، وأبي تمام ، وغيرهم، فقد نهل ابن بقي من نصوص هذا العصر، وحاور مفرداتها ومعانيها ، وذلك في مثل قوله :

مَنَازِلٌ لَكِ يَا سَلْمَى بِذِي ضالِ هَيَّجْنَ لاعِجَ أوصَابِي بِلبَالِي (ابن بقي، 2012، صفحة 103)

حيث نلحظ تأثره بقول المتنبّي(303هـ/354هـ)، وهو يحاور الأطلال التي أقفرت، حين رحل الأحبة وتركوها خالية على عروشها، على البحر الكامل:

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أَقفَرْتِ أَنْتِ وَهُنّ منكِ أواهِل

يَعْلَمْنَ ذاكَ وما عَلِمْتِ وإنّمَا أَوْلاكُما يُبْكَى عَلَيْـهِ العاقِل (المتنبي، 1983، صفحة 77)

وأمّا قوله في وصف الخيل، على البحر البسيط :

تَمشِي بِهَا الخَيْلُ لا جُرْدٌ مطَهَّمَةٌ مَشْيَ الكواعبِ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلِ (ابن بقي، 2012، صفحة 98)

فقد استوحاه من بيت ابن الرّومي على البحر البسيط :

يَا مَنْ تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ وأَصْبَحَتْ مِنْهُ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلِ (الوطواط، صفحة 346)

ومن سلسلة تناصاته مع شعر العصر العباسي نذكر قوله على البحر البسيط :

يا وَيْلَكُمْ مَعْشَرًا بَلْ وَيْلَ أُمِّكُمُ فإنَّهَا وَلَدَتْ للثُّكْلِ والهَبَلِ (ابن بقي، 2012، صفحة 67)

وهو في هذا البيت يستحضر بصيغة حوارية قول أبي تمام على البحر البسيط:

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إلاَّ وَقَدْ عَلِمَتْ وَإنْ لَمْ تُنِبْ أنّهُ للسَّيْفِ مَا تَلِدُ (ابن بسام، صفحة 621)

وأمّا قوله متغزّلا :

لَمَ أنسَ إذْ وَدَّعتُهُ وَقَدِ التَقَتْ مِنّـا هُنَالكَ بالبُكَا عَيْنَانِ

يَرْنُو بِـنَرْجَسَةٍ إلَـيَّ وَرُبّـمَا قَـرَعَ الأقْـاحَ بِيَاسَمِينِ البَانِ (ابن بقي، 2012، صفحة 121)

فقد استنطقه من أبيات الوأواء الدمشقي (ت 390هـ) التي يقول فيها، على البحر البسيط :

قَالتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا كَمْ ذَا أَمَا لِقَتِيلِ الحُبِّ مِنْ قَوَدِ

وأَسْبَلَتْ لُؤلُؤًا مِنْ نَرجَسٍ ،وَسَقَتْ وَردًا ،وعضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ

إنسانةٌ لَو بَدَتْ للشّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهَا يَومًا عَلَى أحَدِ (زيدان، صفحة 557)

تثبت هذه النماذج صدى اطّلاع ابن بقي على شعر الشعراء المشارقة، وتأثره بهم .

1 ــ في المفردات

استخدم الشاعر ابن بقيّ في شعره مجموعة من المفردات التي توحي باستعانته (في معظم الأحيان بمفردات سابقيه من الشعراء المشارقة ، فلقد استخدم المفردات التي تعبّر عن واقع الصحراء ، والقيم العربية) (ابن بقي، 2012، صفحة 45)، كأنه في المشرق العربي، وذلك كقوله :

ــ تِلْكَ الظِّبَاءُ عِرَابُ الخَيْلِ دُونَكُمُ نَهْدٌ وَوَرْدٌ وذبَّالٌ ومُنْجَرِدُ (ابن بقي، 2012، صفحة 83)

استخدم الشاعر" نهد "،" ذبّال"،" منجرد"، وكلها ألفاظ مستوحاة من الشعر العربي المشرقي .

وفي قوله على البحر البسيط :

وَمَنْ تَصَنَّعَ يَرجَعْ بَعْدَ آوِنَةٍ إلَى الطِّبَاعِ رُجُوعَ العِيرِ للوتدِ (ابن بقي، 2012، صفحة 82)

قد استخدم لفظتي " العير " و " الوتد " مثلما استخدمها الشعراء المشارقة .

وفي قوله على البحر الكامل :

بِأَبِي قضِيبُ البَانِ يَثنِيهِ الصِّبَا عوض الصَّبَا فِي الرّوضةِ الغَنَّاءِ (ابن بقي، 2012، صفحة 73)

قد استخدم لفظة القضيب التي استخدمها شعراء العصر العباسي، وبخاصة المجدِّدون، ومن القاموس العربي القديم استعار لفظة الضرغام، وذلك في قوله على البحر الطويل :

مُسَوَّمَةٌ تحكِي سَنَابِكُهَا الصَّفَا وَتَنْقَضُّ مِنْهَا بِالضِّرْغَامِ عِقْبَانُ (ابن بقي، 2012، صفحة 123)

قد استخدم لفظ الضِّرغام، هذا اللفظ الذي يستعمل في الشعر المشرقي .

ولا شك أن أشهر كلمة في وصف الأطلال في الشعر الجاهلي هي كلمة وشم، وقد وظّفها ابن بقي في شعره حيث قال على البحر البسيط :

كالوَشْمِ فِي أذرعٍ كالوحي في صُحُفٍ كالحَبْلِ فِي حُلَلٍ أفْضَتْ لِإجْلالِ (ابن بقي، 2012، صفحة 103)

استخدم لفظ الوشم الذي استخدمه الشعراء المشارقة للدلالة على الرسم والأطلال الباقية بعد رحيل أهلها .

2 – في المعاني :

قال ابن بقي على البحر البسيط :

وكُلُّكُمْ سَيِّدٌ يُنْمَى إلَى نَفَرٍ شُمِّ الأُنُوفِ كُفَاةٍ غَيرِ أكْفَالِ (ابن بقي، 2012، صفحة 106)

نلحظه متأثّرًا ببيت حسّان بن ثابت على البحر الكامل :

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأوَّلِ (حسان بن ثابت، 1994، صفحة 184)

استخدم ابن بقي جملة "شمّ الأنوف" ذات المعنى الذي استخدمه الشاعر حسّان بن ثابت للإدلاء بمعالي قوم الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وذكر فضائلهم،التي ميّزتهم بين الأقوام .

وفي التشاؤم قال ابن بقي على البحر الطويل :

إذَا مَا غُرَابُ اللّيلِ مَدَّ جَناحَهُ عَلَيَّ وَغَطَّانِي بِرِيشٍ قَوَادِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 114)

متأثرًا ببيت النابغة الذبياني على البحر الكامل :

أمِنْ آلِ ميَّةَ رَائحٌ أو مُغْتَدِي عَـجْـلانَ ذَا زادٍ وغَيْرَ مُـزوَّدِ

زَعَمَ البـوَارِحُ أنَّ رِحلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُرَابُ الأسْوَدُ (النابغة الذبياني، 1996، صفحة 105)

استخدم ابن بقي لفظ "الغراب " الدّال على المعنى الذي استخدمه الشاعر النابغة الذبياني للتشاؤم (فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّر به في باب الشؤم، ألا تراهم كلّما ذكروا ممّا يتطيّرون منه شيئًا ذكروا الغراب معه) (الجاحظ، صفحة 211)، إنّها من ثقافة العرب، ومن ثقافة الشعراء المشارقة، وهي دلالة على تأثّره بفكرة التشاؤم نظرا لقراءة أشعارهم، واطّلاعه عليها .

وفي الفخر بالأجداد قال ابن بقي على الكامل :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بنُ مَامة قدْ حَازَ النَّدَى بالطّيِّ والنَّشْرِ (ابن بقي، 2012، صفحة 89)

تَوَهَّمْتُهُ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ وَخِلْتَنِي شَقِيًّا أَتَاهُ مِنْ وُفُودِ البَرَاجِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 115)

من عادة الشعراء العرب الفخر بالأجداد، لكن حسان بن ثابت انفرد مفتخرا بالأبناء وقد انتقده النابغة الذبياني، ولكن البيت فيه معنى الفخر بالأجداد، أمّا الفخر بالكرم له دلالة، تضرب له المعاني بحاتم مثلا، يقول ابن بقي على البحر الطويل :

بَلِ المَثَلُ المَضْرُوبُ فِي الجُودِ للذِي يَعوُدُ عَلَى أبنَّاءِ كعبٍ وحَاتِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 116)
نُورَانِ لَيسَا يُحْجَبَانِ عَلَى الوَرَى كَرَمُ الطِّبَاعِ ولا جَمَالُ المَنْظَرِ (ابن بقي، 2012، صفحة 87)

يلحظ من خلال البيتين أن الشاعر يفخر بذكر الكرم، وهذه الصفة يذكرها الشعراء المشارقة عند الفخر، بل يضرب الشعراء المثل بحاتم الطّائي الكريم المعروف عند العرب بجوده وإحسانه وكرمه، والشاعر نراه متأثرا بدلالة اللفظ مثلما استخدمه الشعراء المشارقة قبله .

وفي الفخر بصفته شاعرا يقول ابن بقي على البحر البسيط :

الشِّعْرُ يَشْهَدُ أَنِّي مِنْ كَوَاكِبِهِ بَلِ الصَّبَاحُ الذي يسْتَنُّ فِي أُفُقِهْ (ابن بقي، 2012، صفحة 97)

يفخر ابن بقي بنفسه شاعرا، ويشهد الشّعر عليه بذلك، ويرتّبه في أعلى مقام مع الشعراء الكواكب، ومع الشوامخ من الدرجة السامية، وهذه الصفة تفخر بها القبيلة، ويفتخر بها شعراء المشرق الذين تأثّر بهم، حيث (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج) (ابن رشيق، 2001، صفحة 53) ، قال ابن بقي في قصيدة ميمية على البحر الطويل :

وَطَالَبَنِي دَهْرِي لأنِّيَ زِنْتُهُ وَأَنِّيَ فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَدْهَمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 113)

يفخر ابن بقي بنفسه فحلا، وقد طالبه الدهر وتحدّث إليه لأن الدهر يعرف مقام الشاعر بين الشعراء النوابغ، وهو متأثّر بقول ابن المعتزّ يصف وجه حبيبته حين بدا له :

حتَّى تَبَدَّى تَحتَ لَيلٍ مُظْلِمٍ كَـأَنَّهُ غرّةُ طَرْفِ أَدْهَمِ
أو ثَغْرُ زنْجِيّ لَدَى التَّبسُّمِ (ابن بسام، صفحة 512)

يبرز تأثّر الشاعر بالأمثلة المضروبة في شعر المشارقة في مثل قوله،على البحر البسيط :

يَا مَعْشَرَ الرُّومِ قدْ شَالَتْ نَعَامَتُكُمْ إمَّا مِنَ الحَيْنِ أوْ مِنْ شِدَّةِ الفَشَلِ (ابن بقي، 2012، صفحة 98)

إن جملة " شَالَتْ نَعَامَتُكُمْ " مثل يضرب عند العرب، بمعنى تفرّقوا ووقعت بينهم بغضاء، وابن بقي لم يعش ولم يسافر إلى المشرق، ولهذا فقد تلقّاه في قصائد الشعراء المشارقة، وقد توصّل البحث إلى مجموعة من الشعراء الذين ذكروا هذا المثل في أشعارهم في مؤلَّف ' المثل في الشعر العربي ' (جميعان، 1999، صفحة 89)مثل :

قول صخر الغي : دعَا صَاحِبَاهُ حِينَ شالَتْ نَعَامَتُهُمْ وقَدْ حَفَرَ القُلُوبَ .
وقول زهير بن صرد : لا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَأَسْتَبِقْ منَّا فَإنَّا مَعْشَرٌ زُهْرُ .
وقول أبي الصّلت بن ربيعة:واشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبِلِ اليَوْمَ مِنْ بُرْدَيكَ إسْبَالا

وقول ذي الأصبع العدواني :

لِيَ ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَاكَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخَالِفٌ لِي أُقْلِيهِ وَيُقْلِينِي

أَرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالَنِي دُونَهُ بلْ خِلْتُهُ دُونِي .

وهي إشارات تفيد أن ابن بقي تأثّر بهم، ولم يستطع التملّص منهم .

3 – في الأغراض :

الإحساس عند بني البشر واحد، لكن نختلف بدرجات متفاوتة، ولهذا من الطبيعي هناك تفرد كل أديب، وفي كلّ عصر، فالتّفرّد والتميّز مطلوبان في الشاعر، والبصمة المميّزة لا بد منها في إبداعاته الشعرية، في أيّ غرض كان .

أ – الغزل / والغزل الغلماني :

عرف العصر العباسي ازدهارا في شتى مجالات العلوم والآداب والفنون، ومنها الشعر بكل أغراضه، حيث انتهت حركة المدرسة العذرية مع ذهاب شعرائها، وبرز الغزل الفاحش مع مجموعة من المولّدين، ولعل أخطر ظاهرة من الغزل التي تعد أكثر الأنواع انحطاطا وهو الغزل الغلماني، (أمثال أبونواس، وحماد عجرد، ومطيع بن إياس، وهناك فئة من المتعففين أمثال البحتري، العباس بن الأحنف، والشريف الرضي، فكانت قصائدهم صادرة عن وجدان فيه البراءة والمحافظة على الآداب العامة) (السيوفي مصطفى، 2008، صفحة 37) ، أمّا الأندلس فقد برز فيها هذا الضرب من الشعر حتّى أصبح (ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع الأندلسي أسرف في تصويرها الشعراء حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بسمات من الوقار قد تورّطوا في إنشاء شعر الغزل بالغلمان حتى يخيّل لمتابع الدراسة في حقل المجتمع الأندلسي أن هذه العادة الغريبة قد أصبحت جزءًا من كيان ذلك المجتمع) (الشكعة مصطفى، 1975، صفحة 54)، ولكن على الرغم من ذلك ظل الشعراء يتركون هذا النوع في قصائدهم الرسمية، وهناك أيضا شعراء يحافظون على قدر كبير من الغزل العفيف، ومن أهم شعراء الغزل في هذا العصر العباس بن الأحنف، وأبي فراس الحمداني، والبحتري، والشريف الرضي، وبرز شعراء كثر في الأندلس، من بينهم ابن بقي في فني الشعر والموشّح، وأصبح قامةً إبداعية شامخة .

قال ابن بقي بعاطفة جياشة، وبرقة ، وإحساس، على البحر البسيط:

يَا أَقْتَلَ النَّاس ألحاظًا وأطْيَبَهُمْ ريقًا مَتَى كَانَ فِيكِ الصَّابُ والعَسَلُ ؟؟
في صَحْنِ خدِّكِ وَهْوَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ رْدٌ يَزِيدُكَ فِيهِ الرَّاحُ والخَجَلُ (ابن بقي، 2012، صفحة 108)
إنْ كُنتَ تَجْهلُ أنّي عَبدُ مَحَكَمَةٍ مُرْنِي بمَا شئْتَ آتِيهِ وأمْتَثِلُ
لو اطّلَعتَ علَى قَلْبِي وَجَدْتَ بِهِ مِنْ فِعْلِ عَينَيْكَ جُرْحًا لَيسَ يندَمِلُ (ابن بقي، 2012، صفحة 108)

وإن كان أبو نواس في العصر العباسي قائدًا للدفعة الأولى من مبتدعي الغزل الغلماني ، وكان من أشهر أعلامه، ولكن أية شهرة !؟، لأن أغلب شعره في هذا الموضوع حافل بالشذوذ والخلاعة، والميوعة العارمة، والفحش، والمرض الأخلاقي فأية شهرة !؟ فغزله هذا لا يخلو من الاستهتار بكل الأخلاقيات والعفة، من خلال ميله إلى المذكر لأسباب متعدّدة، فأصبحت ظاهرة في شعره، ويمكن أن نستدل على تأثّر الشاعر ابن بقي به، ولكن لا ننسى العامل النفسي، والعامل الفنّي، والبيئة الأندلسية المتمثلة في المجتمع المتقبّل لهذه الظاهرة، فكلّ هذه العوامل أدّت دورًا كبيرًا في فتح باب الغزل الغلماني،(كان ابن بقي الأندلسي متأثّرًا بالشعراء المشارقة إلى حدٍّ كبير، ففي قصيدة له في الغزل الغلماني، وهي في غلام مغنٍّ يرقص) (ابن بقي، 2012، صفحة 64) ، وهي دليل على هذا الرّأي، يقول فيها على البحر الكامل :

بأبِي قَضِيبُ البَانِ يُثنِيهِ الصَّبَا عوضَ الصَّبَا فِي الرَّوضَةِ الغَنَّاء
نَادَمتُهُ سَحَرًا فَأمْتَعَ مَسْمَعِي بتَرَنُّمٍ كَتَرَنُّمِ الوَرقَاءِ (ابن بقي، 2012، صفحة 64)

وقال على البحر الكامل :

بأبِي غزَالٌ غَازَلَتْهُ مقلتِي بَيْنَ العُذَيْبِ وبَيْنَ شَطَّيْ بارِقِ
وَسَأَلْتُ مِنْهُ زيارةً تَشْفِي الجَوَى فَأَجَابَنِي منْهَا بوَعْدٍ صَادِقِ
وضَمَمتُهُ ضمَّ الكَمِيِّ لِسَيْفِهِ وَذُؤَابتَاهُ حمَائِلٌ فِي عاتِقِي (ابن بقي، 2012، صفحة 93)

ويبدو هنا متأثرا بشعراء الغلمان وبرؤيتهم الفكرية والفنّية، ويمضي إلى حدود الاستهتار، في قصيدته البائية على البحر الطويل يقول فيها على البحر الطويل :

ومَشْمُولة فِي الكَأسِ تَحسِبُ أنَّهَا سَمَاءُ عَقِيقٍ رُصِّعَتْ بِالكَوَاكِبِ
بَنَتْ كَعْبَةَ اللَّذَّاتِ فِي حَرَمِ الصِّبَا فَحَجَّ إلَيهَا اللَّهوُ مِنْ كلِّ جَانِبِ (ابن بقي، 2012، صفحة 72)

وهذه الأبيات تكشف (حدّ المجون بالشاعر أنّه شبّه الخمر بالحَجِّ الذي يؤمّه المؤمنون لقضاء فريضة الحجّ، فالخمر في نظره فريضة يجب أن يؤديها كلّ شخص لينال أجرًا) (ابن

بقي، 2012، صفحة 64)، وهذا الاستهتار ملمح من ملامح التأثّر بأبي نواس .

ــ المدح :

يعتبر المدح ضرب من القول الجميل في شخصية مع إعجاب الشاعر الممدوح صدقًا أو تملّقًا، وذكر فضائلها ومآثرها من جود وكرم، وبطولة وشجاعة، وعلم، وعليه فإن الشاعر يريد إعلان بيان اعتراف بجميل الآخر، وتعظيمه للناس وللتاريخ، وتخليده للأجيال القادمة، وقد يكون طمعًا في مكسب رزق، لعلّ خيرَ مثالٍ على ذلك مدح زهير بن أبي سُلمى' هرم بن سنان ' و ' حارث بن عوف ' حين رأى فضلهماَ في توقيف القتال بين قبيلتَي "عبس وذُبيان" الذي دام أربعين سَنةً فكانت نتائجه وخيمة في الأرواح، ولمّا شاهَد ما قام به هذان السيّدان في إطفاء جائحة الحرب، وما تحمّلا من أعبائها بأموالهما في دماء القتلى، وبعد الفتح الإسلامي أيضًا كان حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكعب بن زهير، والمتنبي، فكل الشعراء قد مدحوا، وإن لم يمدحوا شخصية بعينها، قد مدحوا من حيث لا يدرون، وأي شاعر لم يمدح ؟؟ والشعراء الأندلسيون تأثروا فمدحوا مثل المشارقة، ومن الشعراء الأندلسيين ابن بقي، الذي أقرّ بالمدح، فالمديح يعتمد على ذكر المناقب، والإعجاب والتقدير وحبّه للممدوح، يقول على البحر الوافر:

وأَلْحَقُ بِالأعَارِيبِ اعْتِلاءً بِهِمْ وَأُجِيدُ مَدْحَهُمُ اهْتِمَامَا (ابن بقي، 2012، صفحة 64)

وهي محطّة هامّة جدًّا في شعر ابن بقي، فقد مدح الوزير أبا الحسين بن سراج قائلا :

تَشفُّ وراءَ فطنَتِهِ المَعَانِي شفِيفَ الرَّاحِ منْ خَلْفِ الزُّجَاجِ (ابن بقي، 2012، صفحة 119)

كما مدح يحيى بن علي بن القاسم على الكامل :

نُورَانِ لَيْسَا يُحْجَبَانِ عَنِ الوَرَى كَرَمُ الطِّبَاعِ ولا جمالُ المنظَرِ (ابن بقي، 2012، صفحة 78)

ومدح زهر الإشبيلي على البحر الكامل :

زُهْرُ الكَوَاكِبِ كلُّهَا شهِدَتْ أنَّ السِّيَادَةَ فِي بنِي زُهْرِ (ابن بقي، 2012، صفحة 89)

ومدح أبا العباس بن علي على البحر البسيط:

لا يَنْفُذُ العَزْمُ إلاَّ أنْ تُنَفِّذَهُ والسَّيفُ يَكْهَمُ إلاَّ فِي يَدِ البَطَلِ (ابن بقي، 2012، صفحة 97)

ومدح أبا بكر بن يحيى بن علي، على البحر البسيط :

كَأنَّمَا البَدْرُ إذْ عمّ البِلادَ سَنَا مَلِكٌ تَطَلَّعَ مِنْ إيوائِهِ العَالِي (ابن بقي، 2012، صفحة 104)

يمدح ابن بقي مطلوبه مثلما كان يفعل الشعراء المشارقة، حيث يذكر الفطنة والذكاء والدهاء، مثلما ذكرها في مدح الوزير أبي الحسين بن سراج، ويذكر في ممدوحه الكرم والجمال كما مدح يحيى بن علي بن القاسم، ويذكر السمو والعلا في مدحه ابن زهر الإشبيلي، كما يذكر العزم والحزم والبطولة وأهلية السيف والبطش بالعدو، مثلما ذكرها في أبي العباس بن علي، وذكر الجاه والسلطان كما فعل في مدح أبي بكر بن يحيى بن علي، وكل هذه المواصفات في الممدوحين هي مواصفات قديمة في شعر المشارقة، لنخلص بالقول إنها من علامات تأثّر الشاعر ابن بقي بهم .

ج ــ الفخر :

الفخر ميزة في نفس الإنسان، وجزء كبير من مكوناته الشّعريّة، والإشادة بالنفس هي من فطرة الإنسان تتغنّى بالأنا محمّلة بنرجسية الشاعر"الفخر الذاتي"، ويكون بتعداد الصفات الكريمة في نفسه، وفي أجداده، وفي قومه، حيث يفخر ويبالغ في ذكر المحامد والأفضال، التي تتمثّل في الشجاعة الإقدام، والكرم والجود، والصدق والنزاهة، والوفاء بالعهد، والعزّة والأنفة، والحلم والحكمة، وفضائل القبيلة، إضافةً إلى المعاملات الحسنة مع الآخر، مثل إكرام الضيف، والدفاع عن المظلوم وحمايته، ومعاملة الجار بالحسنى، وثمّة للعرب مجالسهم، ومنابرهم يجتمعون فيها لمناشدة الأشعار، والشاعر لسانهم والمدافع عنهم، والبيت الشعري يرفع من شأن القبيلة وينزلها إلى الحضيض، يقول ابن بقي على الكامل :

وافْخَرْ بِنَفْسِكَ لَسْتَ دُونَهُمُ وَلَـئِنْ سَكَتَّ فَخِـيفَـةَ الكِبْرِ **(ابن بقي، 2012، صفحة 89)** ،

ويقول على البحر البسيط :

الشِّعْرُ يَشْهَدُ أَنِّي مِنْ كَوَاكِبِهِ بَلِ الصَّبَاحُ الذي يَسْتَنُّ فِي أُفُقِهْ **(ابن بقي، 2012، صفحة 89)**

يقول معلنا مفتخرًا بنفسه شاعرا، حيث يشهد الشعر بنفسه له، وإنه من الطراز الأعلى في قائمة الشعراء، ويقول على البحر الطويل :

هوَ الشِّعْرُ أَجْرِي فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرِجُ مِنْ أَبْوَابِهِ كلَّ مُبْهَمِ **(ابن بقي، 2012، صفحة 113)**

ويستدل الشاعر عن فصاحته وبلاغته، وإذا تسابق لم يسبقه أحد في تشكيل البنية الجمالية في القصيدة . ويقول على البحر الطويل :

وَطَالَبَنِي دَهْرِي لأَنِّيَ زِنْتُهُ وأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَدْهَمِ **(ابن بقي، 2012، صفحة 113)**

يبيّن بأنّه شاعر من الشعراء الشوامخ، ومن القامات العبقرية المعروفة في فن الإبداع الشعري، حقّق مرتبةً سامية، وإبداعًا مميّزًا .

ويقول على البحر البسيط :

مالِي ولِلْهَمِّ لَيْسَ الهَمُّ مِنْ أَرَبِي أنَا الغَنِيُّ بِنَفْسِي لَيسَ بالمَالِ (ابن بقي، 2012، صفحة 104)

ويفتخر بالغنى بنفسه، وبشخصيّته، ويذكر أنه ليس غنيًّا بالمال كما يظنّ كثير من الناس . فكلّ هذه المواصفات التي يفتخر بها الشاعر هي مواصفات افتخر بها الشعراء المشارقة من قبله، وقد يكون متأثّرًا بهم، وهذه دلالة على علامات أثر الشعر المشرقي في شعر ابن بقي.

د ــ الهجاء :

هو نوع من الشعر ينظمه الشاعر عندما يعبر عن سخطه وغضبه من شخص كان صديقا فأذاه، أو كان مسئولا فاحتقره، أو قبيلة غازية، وهو نقيض المديح، وعليه فالهجاء يقوم على ذكر المثالب الصغيرة والكبيرة، وهو مجموعة من اللوائح الانتقادية هدفها التقليل من شأن المهجو (كان الشاعر يصبّه صبًّا على العدو، فينال من أعراضهم ومروءاتهم، ويثير عليهم الأرواح الشريرة) (أحمد طه إبراهيم، 2004، صفحة 16) ، وهو من عادة الشعراء المشارقة حيث كانوا يهجون بالبخل، قال الأخطل على البحر البسيط :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ قالوا لأمّهِمِ :بُولي على النّارِ

فَتُمْسِكُ البولَ بُخْلاً أنْ تَجـودَ بِهِ وما تبـوُلُ لـهُـمْ إلاَّ بـمـقدارِ (الأخطل، 2005، صفحة 166)

يهجو الشاعر قومًا بخلاء، لا يكرمون الضيف، وقد رضعوا البخل من أثداء أمَّهاتهم يقول ابن بقي على البحر البسيط :

وَظِلْتُ أَبْكِي لَـكُمْ عُذْرًا لَعَلَّكُمْ تَستَيقِظُونَ، وَقَدْ نِمتُمْ عَنِ الكَرَمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 111)

يهجو قومه لأنهم لم يعودوا كرماء، ويوحي لهم بأن البخل سمة عار عند العرب، وهو متأثر بثقافة الكرم السّائدة عند العرب، وقال في قصيدة قافية من البحر البسيط يهجو منتقده :

مَا ذَمَّ شِعرِي وأَيَمَ اللهُ لِي قَسَمٌ إلَّا امرؤٌ ليستِ الأشْعَارُ مِنْ طُرُقِهْ (ابن بقي، 2012، صفحة 96)

هجا ابن بقي الشاعر الذي انتقده، بأنه لا يستطيع أن يكتب بأسلوبه الرّائع، وبمنهجه الرّاقي، وبجماليته المتميّزة، وهو قاصر على أن يحقّق المقام الذي حقّقه ابن بقي بين الشعراء .

نظم الشاعر ابن بقيّ في أغراض عديدة لكن لم نعثر على غرضي الرثاء والزهد في الديوان المحقق من طرف انتصار خضر الدنّان، وهذا لا يمنع أن الشاعر قد نظم فيهما، وغيابهما قد يعود إلى تقصير من أصحاب المصادر التي ذكرت له أشتاتا من القصائد، والمقاطع المتناثرة هنا وهناك، ومن الموشّحات .

4 ــ في الأسلوب :

أ ــ مطالع القصائد والتّصريع :

من عادة شعراء الجاهلية أن يجعلوا مقدّمة قصائدهم الشعرية طللية، وأن يتحدّثوا إلى الأطلال علنًا ويسائلوها، ويستأنسوا بذكر الديار وآثارها البارزة كالوشم، وبذكر الأماكن بأسمائها المعروفة جبالا، سهولا وأودية، كما قال امرؤ القيس على البحر الطويل :

قِفَانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبِيبٍ ومنزِلِ بِسِقطِ اللِّوَى بيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ **(الشنقيطي أحمد، 2002، صفحة 23)**

وقد تكون غزلية مباشرة مثلما فعل كعب بن زهير في قصيدة البردة على البحر البسيط :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَومَ مبتُولُ متيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يـُجْزَ مكـبُولُ

وَمَا سُعَـادُ غَـدَاةَ البيْنِ إذْ رَحَلُوا إلاَّ أغنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مكحُولُ **(كعب بن زهير، 1997، صفحة 60)**

أو خمرية عند بعضهم مثلما فعل عَمرُو بن كلثوم في معلقته على البحر الوافر :

ألا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأندرِينَا **(الشنقيطي أحمد، 2002، صفحة 123)**

تأثّر ابن بقي بأنواع المطالع الطللية، الغزلية والخمرية المصرّعة :

يقول في المطالع الطللية على البحر البسيط :

مَنَازِلٌ لَكِ يَا سَلْمَى بِذِي ضَالِ هَيَّجْنَ لاعِجَ أوصالِي وَبَلْبالِي **(ابن بقي، 2012، صفحة 103)**

ويقول في قصيدة أخرى على البحر الكامل :

وا حرَّ قَلْبِـي مِنَ خـليطٍ زَائِلٍ صَبْـرِي عَـلَى آثَـارِهِ سَيـزُولُ **(ابن بقي، 2012، صفحة 110)**

أمّا الغزلية ففي مثل قوله على البحر الكامل :

عُلِّقتُـهَا مِـنْ رَبْرَبِ العَفْرِ لكِنَّـهَا عَرَبِـيَّـةُ النَّـجْرِ

لا تَلْتَمِـحْـهَا رُبَّمَا سَلَبَتْ مِنْكَ الفُؤَادَ وَأَنْتَ لا تَدْرِي **(ابن بقي، 2012، صفحة 89)**

والخمريّة في مثل قوله على البحر الكامل :

خُذْهَا عَلَى وَجْهِ الرَّبِيعِ المُخْضَبِ لَمْ يقْضِ حَقَّ الرّوْضِ مَنْ لَمْ يَشْرَبِ **(ابن بقي، 2012، صفحة 75)**

وقد سار ابن بقي على سمت القصيدة العربية ونهجها متأثّرا بالشعراء المشارقة، وحافظ على المطلع الطللي والغزلي والخمري، وقد وفّق أيضا وأبدع في ذلك، على الرغم من أن وقوفه على هذه المقدّمات لم يكن ثابتا، إذ أنه في بعض الأحيان يدخل في غرض القصيدة مباشرة من دون أي ذكر لأي طلل أو غيره .

ب ــ التضمين :

التضمين هو استعانة الشاعر ببيتٍ أو صدر أو عجز من بيت شاعر آخر تقدّمه، أو حكمةٍ سمعها تتردّد في حديث النّاس، أو مثَلٍ سائرٍ له دلالته، يجيء به الشاعر إتمامًا لما يريد قوله، يمتّن به فيزداد المعنى قوّة وتأثيرًا، ويزيّن به فيزداد حسنا وبلاغة، وهذا يحتاج أصلا إلى مهارة، وعبقريّة فنية تُقوّي ولا تضعف، تُرصّع ولا تردِي، تجلب ولا تنفّر، وهذا التضمين موجود في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي مثل ما جاء في معلقة طرفة بن العبد متضمّنة جزءًا من معلّقة امرئ القيس، وأصبح التضمين ظاهرة بين الشعراء إلى اليوم، ويكون التضمين مستحسنا إذا أجاد الشاعر، وتفنّن في تشكيله مع مناسبته لمعنى القصيدة ، حيث يقول ابن بقي على البحر الطويل :

فَسَلْ أَهلَهُ عَنِّي هَلِ امْتَزْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدَّمِ **(ابن بقي، 2012، صفحة 113)** ؟

من الواضح قد استعار ابن بقي جملة الاستفهام " وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدَّمِ " من قصيدة عنترة بن شداد بالتجديد، من مطلعها الذي يقول فيه على البحر الكامل :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ **(الشنقيطي أحمد، 2002، صفحة 149)**

وأمّا قوله: فَلَمْ أَعِدَمْ وإِيَّاهَا حَسُودًا كَمَا لا تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَامَا **(ابن بقي، 2012، صفحة 119)**

فهو تناص مع قول الشاعرة الجاهلية الخِرنِق بنت بَدر في بيتها :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ كَمَا لا تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَامَا **(حمزة محمد فوزي، 2007، صفحة 25)**

يعدّ المثل (لا تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَامَا) من أكثر الأمثال العربية التي ضربت في المرأة الحسناء شهرة، ومدلوله أنها لا تعفى من النقص شأنها في ذلك شأن بقية البشر، فليس هناك أحد كامل، ويضرب المثل في استحالة خلو البشر من العيوب والنقص، وبما أنه مثل منتشر بين الناس، فمن الظلم القول إن ابن بقي قد أخذه من بيت الشاعرة الجاهلية، ومن الممكن أنه لم يسمعه شعرًا، ولكن سمعه مثلا يضرب بين الناس، ومن تضمين ابن بقي قوله :

تَمْشِي بِهَا الخَيْلُ لا جِرْدٌ مُطَهَّمَةٌ مَشْيَ الكَوَاعِبِ فِي حَلْيٍ وفِي حُلَلِ (ابن بقي، 2012، صفحة 98)

وفي هذا البيت جملة مأخوذة من قول ابن الرومي على البحر البسيط :

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ الدُّنيَا بِطَلْعَتِهِ وأَصْبَحَتْ مِنْهُ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلِ (الوطواط، صفحة 346)

فكما هو واضح فإنّ جملة " في حَلْيٍ وفي حُلَلٍ" مأخوذة حرفيا من المصدر الذي ذكرناه، وهذا ما سمي في علم التناص بالاجترار، وقال ابن بقي على البحر الطويل :

سَتَبْكِي قَوَافِي الشّعْرِ مِلْءَ جُفُونهَا علَى عَرَبِيٍّ ضاعَ بَيْنَ اَعَاجِمِ (ابن بقي، 2012، صفحة 114)

وهي مأخوذة من قول عبد الله بن عمرو العرجي(73هـ/ 120هـ)،على البحر الوافر :

أضَاعُونِي وأيُّ فتًى أضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهةٍ وَسِـدَادِ ثَغْرِي (الأصفهاني أبو الفرج، 2008، صفحة 331)

حيث ضمن ابن بقي جملة "عَرَبِيٍّ ضاعَ بَيْنَ اَعَاجِمِ" من قصيدة عبد الله بن عمرو العرجي، يتأسّى من قومه يوم لم يلتفتوا إليه، ونسوه في متاهات الحياة وشعثها .

يقول ابن بقي في قصيدة قافية ، على البحر الكامل :

بِأَبِي غَزَالٌ غَازَلَتْهُ مُقْلَتِي بَيْنَ العُذَيبِ وَبَيْنَ شَطَّيْ بَارِقِ (ابن بقي، 2012، صفحة 93)

نلاحظ أن" العُذَيبِ وَشَطَّيْ بَارِقِ"، هي أسماء أمكنة، وحسبما علمتُ في حياته لم تطأ قدماه هذين المكانين المذكورين، وقد ضمّنهما من قصيدة المتنبّي القافية، على البحر الطويل، التي مطلعها: تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ العُذَيْبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ (المتنبي، 1983، صفحة 393)

يقول ابن بقي في قصيدة لامية على البحر البسيط :

يَا أَقْتَلَ النَّاسِ أَلْحَاظًا وأَطْيَبَهُمُ رِيقًا مَتَى كَانَ فِيكِ الصَّابُ والعَسَلُ (ابن بقي، 2012، صفحة 108)

قد أخذ الشاعر الجملة الاستفهامية بالتجديد، وهي مستوحاة من قول المتنبّي، على البسيط :

قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتَها فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ ولا عَسَلِ (المتنبي، 1983، صفحة 336)

يقول ابن بقي في قصيدة لامية على البحر الكامل :

عَاطَيْتُهُ واللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ صَهْبَاءَ كَالمِسكِ الفَتِيقِ لِنَاشِقِ (ابن بقي، 2012، صفحة 93)

ضمن الشاعر ابن بقي جزءًا من بيت المتنبّي من القصيدة القافية حيث يقول :" كَالمِسكِ الفَتِيقِ لِنَاشِقِ " وقال المتنبّي على البحر الطويل :

سُهَادٌ لأَجْفَانٍ وشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمُ أَبْدَانٍ، وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ (المتنبي، 1983، صفحة 393)

ومن خلال القراءة يبدو أن ابن بقي تأثّر تأثّرًا كبيرًا بالمتنبّي، والحجّة بعض هذه الأبيات التي استشهدنا بها، وهي دلالة أيضًا على تأثّر بالشّعر المشرقي .

الخاتمة :

تأثّر الشاعر ابن بقي الأندلسي بالشعراء المشارقة في مواضع عدة؛ ويبدو هذا التأثّر في :

ـ اقتباس بعض المفردات من شعر المشارقة، والإتيان بدلالات نفسها .

ـ توظيف المعاني من خلال الأمثلة والحكم، وجاءت في أشعار المشارقة .

ـ طَرْقِ أغراض المدح، والفخر، والوصف والغزل، لكن لم نعثر على الرثاء والزهد .

ـ استخدام أساليب الشعراء المشارقة ؛ مثل مطالع القصائد، وتصريعها أحيانًا، والتّناص، والتضمين، والوقوف على الأطلال، وتوظيف الترصيع، متأثّرًا بأساليب الشعراء المشارقة، وكان شعره بصورة ما انعكاسا لتأثّره بهم، ولكن يمكن أن نشير إلى بصماته الخاصة جدًّا في بنية القصيدة وبنائها، هذه الخصيصة التي مكّنته من التّميّز والتفرّد ، و عليه من خلال هذه الأمثلة يتبيّن لنا أثر الشعر المشرقي في شعر ابن بقي واضحًا .

قائمة المصادر والمراجع:

ـ أحمد الزّعبي،التّناصّ'نظريًّا وتطبيقيًّا'مؤسسة عمون للنشر والتوزيع،عمان الأردن،ط2، 1420هـ/2000م.

ـ أحمد الأمين الشنقيطي،شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها،حققه وأتم شرحه محمد عبد القادر الفاضلي،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1423هـ/2002م.

ـ الأخطل،الديوان،شرحه وصنف قوافيه وقدّم له مهديمحمد ناصرالدين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،1414 هـ/2005م . .

ـ أبو إسحاق جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، ضبط وصحّحه:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان .

ـ ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تح إحسان عباس،القسم الثالث، المجلد الأول، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس.

ـ ابن بقي الأندلسي،الديوان ، تح : انتصار خضر الدَّنَّان، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1، 2012 .

ـ حسان بن ثابت الأنصاري،الديوان، شرحه وكتب هوامشه عبدأ. مهنَّا، دار العلمية،بيروت، لبنان،ط2 ،1414 هـ /1994 م.

ـ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،مصر.

ـ جميل بثينة، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،1402هـ/1982م.

ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح:عبد الحميد هنداوي،المكتبة العصرية،صيدا، بيروت،1422هـ/2001م، ج1 .

ـ الزوزني، شرح المعلقات العشر، منشورات دارالحياة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،1983

ـ عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر'قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية'ط3،دار العودة ، بيروت، لبنان،1981 .

ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،كتاب الحيوان،وضع حواشيه محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج 3 .

ـ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة، 1425هـ/2004م

ـ كعب بن زهير،الديوان ، حققه وشرحه وقدّم له علي فاعور، منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1417هـ/ 1997م .

ـ المتنبّي،الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،1403هـ،/1983م .

ـ محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التَّأثُّر والتَّأثير،إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،السعودية، 1400هـ/1980م

ـ محمد سلام جميعان، المثل في الشعر العربي،دار الخليج،ط1 ،1999 .

ـ محمد فوزي حمزة، ديوان الشاعرات الجاهليات،مكتبة الآداب ،القاهرة، ج.ع .مصر،ط1 ،1428هـ/2007م

ـ مصطفى عليان عبد الرحيم،تيارات النقد الأدبي في الأندلسي في القرن الخامس هجري،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط1 ،1404هـ/1984م.

ـ مصطفى السيوفي،تاريخ الأدب في العصر العباسي الدّارالدولية،القاهرة، مصر،ط1 ،2008 .

ـ مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي، موضوعاته، وفنونه،دار العلم للملايين،بيروت،1975 .

ـ النابغة الذبيان،الديوان،شرح وتقديم عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط3 ،1416هـ/1996م.

ـ سعد بوفلاقة، دراسات في الأدب الجاهلي، منشورات جامعة باجي مختار ،عنابة، 2006.

أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني،مج1،ط3،تح إحسان عباس،دار صادر ،بيروت،لبنان،2008 .

ـ قيس بن ذريح،الديوان،اعتنى به وحققه عبد الرحمن المصطفاوي،دار المعرفة،بيروت، لبنان ،1425 هـ /2004م.